

الحسي والمعنوي في الحلال والحرام



«حتى لا تتصور أن المحرمات هي الأمور المادية فقط، لابد من أن تعرف أن الله تعالى حرّم الفواحش (المنكرات والخبائث) ما ظهر منها وما بطن.

ما ظهر منها: المحرمات الحسية، المادية، الملموسة كالخمر، ولحم الخنزير والربا والرّشوة والقمار، والقتل.. وغيرها. والمحرمات المعنوية كالكذب والغش والخيانة.

وما بطن منها: هي كلّ الذنوب القبيحة الخفية: كاتخاذ السراي أو الأخدان أو الخليلات (صديقات السر)، والتناجي بالإثم والعدوان، أي الأحاديث السرية التي تبث المؤامرة وتخطط للإيقاع بالمالحين.

وقد تجد بعض الناس يجتنّبون المحرم الصغير لكنهم لا يتورعون عن ارتكاب المحرم الكبير، وقد يعترفون بالمغائر لكي يوهّموا الناس أنهم لم يقترفوا الكبائر.

إنّ التشريع الذي حلّ وحرم هو نظام أو قانون متكامل، فليس التحريم في الإسلام كيفيّاً أو مزاجيّاً، نتركه إذا لم يؤثر على حياتنا أو مصالحنا، ونعمل به إذا تصوّرنا أنّه يحقّق لنا بعض الأرباح والمكاسب.

وقد يجد البعض الحرمة في لحم الخنزير، فلا يقربه، لكنه لا يتورّع عن أكل لحم أخيه ميتاً باغتيابه، وقد تجده يتحرّج من قطرات دم تقع على ثيابه فلا يصلّي فيها مخافة أن لا تُقبل صلاته، لكنه يريق دم الكرامة الإنسانية في النيل من أعراض الناس، وانتهاك حرمتهم، وجرح أحاسيسهم.

وقد تجد مَنْ يمتنع عن الجلوس في مجالس شرب الخمر، لكنّه لا يجد غضاظة أو إثماً في الجلوس على

الطرقات يلتهم بنظرته الفتيات وربّما يتحرّش بهنّ، وقد يغري بعضهم البعض بذلك، وقد يجلس في مجلس يُنال ويُشهِر به بالأبرار والصالحين ويساء فيه إلى المقدّسات فلا تهتز له شعرة.

إنّنا لا يمكن أن نُجزّء الحرام، فنجنّب (الحسّي) المادّي منه، ونطلق حرّيتنا في التعاطي مع المحرّم المعنويّ: شيمة، أو بذاءة، أو تسقيطاً، أو إفتراء، أو شهادة زور، أو نميمة، أو طعناً في الأعراف، أو سخرية من البعض.. إلخ.

الحرام كالخمر، والفقهاء يقولون: "ما أسكر كثيره فقليله حرام"، فكما أنّ الزّنا جريمة حرام، فكذلك كلّ مقدّمات الزّنا والخطوات المؤدية إليه حرام، فمقدّمة الحرام حرام.

ولابدّ لنا ونحن نحاول إنهاء هذه الجولة في حركة الحلال والحرام في حياتنا من أن نتذكّر ونذكّر أنّنا لسنا مشرّعين، ولا يحق لنا أن نقول هذا حلال وهذا حرام ونحن ننطق عن الهوى، فلا بدّ من مُستند شرعي يستند إليه ويستدل به، وإذا أضعنا الطريق إلى الحلال والحرام فالحل هو كما لو أضعنا الطريق في شوارع المدينة، لنسأل العارفين بها، والله تعالى يقول: (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (الأنبياء / 7).

وحرّى بي كمسلم أن أتذكّر دائماً، وفي أي مكان أو موقف أكون، أن هويّتي وديني الذي هو الإسلام حرّم عليّ أموراً وحلّّل أخرى، فلا مجال للمجاملة في أي مجتمع أكون.

فإذا عُرِضَ عليّ محرّم في مجتمع يتعاطى المحرّم، لا بدّ أن أكون قوياً في القول:

- هذا محرّم في ديني.

- هذا يتنافى مع عقيدتي.

- هذا ليس من أخلاقي.

- هذا لا ينسجم مع تربيتي وطبعي.

فلا أشرب المُسكر أو المخدّر للمجاملة.. ولا أجالس البطّالين المغتابين للمجاملة.. ولا أمارس (المنوع) مخافة أن يقال عنّي (معقّد) أو بلا ذوق أو أنني لا أعرف (الإتيكيت) أو أجهل في آداب اللياقة، فليس من اللياقة أن أنزل ممّا أنا فيه من (رفعة الإسلام) وترفعه لأكون مع المتسافلين.

قيل لأحد الشباب، وقد أراد زملاؤه تحريضه على إصطحابهم إلى المهلى الليلي: هلمّ بنا نتخفّف من أعباء الدراسة وضغوط الحياة.. دعنا (نفرفش) وننسى هموم الإمتحانات..

قال: هذا مكان لا تطأه رجلي!

فسخروا منه ووصفوه بأنّه (معقّد)!

فردّ عليهم بالقول: إذا كان عدم الذهاب إلى الأماكن التافهة والمتحلّلة والفاجرة عُقْدة.. فأأكبر المعقّدين!!

وقد يُسمَّى البعض - على طريقة العناوين المزيّفة التي سبقت الإشارة إليها - أماكن اللهو الفاسد والمخرَّب بـ(اللهو البريء) ليضفي عليه صبغة الحِلّية أو المشروعية، ولابدّ لنا من أن نتعلّم من مثال الدود والسُّكَّر كيف نتعالى على الخديعة والتزييف. ►